المشرق

يوبيل مطبعتنا الذهبيّ

سطَّر المشرق في بعض اعداد سنتهِ الثالثة تاريخ مطبعتنا الكاثوليكيَّة منذ اوَّل نشأتهـا الى بدء القرن العشرين فنحيل القرَّاء الى تلك التفاصيل المسهبة وفيها غنًى عن التكرار وقد دبَّج البشير الاخير بخلاصـة تلك الاخبار صفائحهُ المزدانة بابهى حلل العيد . الَّا اننا نرى في نسبة يوبيل هذه المطبعة الذهبيّ فرضًا واجبًا وحتمًا لازبًا ان نشكرهُ تعالى اوَّلًا على ما افاض من الهبات في هذه المدة الطويلة على اصحابها و عملتها واشغالها المتنوّعة . ثم نقدّم ثانيًا لكلّ من قام بهذا المسعى الجليل آيات الثناء والشكر على ما افرغوهُ في سبيل انشاء هذه المطبعة وترقية اعمالها وتوسيع نطاقها . على انَّ كثيرين منهم كشهيد ايمانهِ الاب يوحنَّا بيليوته والطيب الذكر الاب فرنسيس غوترله والاب الهمام المقدام امبرواز مونو والاخوة الافاضـل

انطون طالون والياس كنعان ويوسف رشدان ومريم الياس والعامل الفاضل اسعد الخوري غصن قد انتقلوا الى دار البقاء فنالوا على اعمالهم ما استحقُّوهُ من الجزاء . لكن ذكرهم لا يبرح في القلوب واعمالهم باقيَةٌ تنطق بسموّ همَّتهم . امَّا خلفاؤهم فلا يزالون على تأثُّر اعقابهم وهم يحصدون بالفرح في هـذا اليوبيل ما زرعهُ اسلافهم بالكدّ والنَّصَب

وممَّا يولي اصحاب هذه المطبعة فضلًا انَّهم انشأوها في زمن كان فيهِ فنّ الطباعة الشرقيَّة قليل الانتشار لا يكاد يقوم بهِ الَّا الدول الكبرى او بعض الجمعيَّات الواسعة الثروة فلم تثبّط همَّتهم الموانع الجمَّة والعوائق المتعدّدة التي كانت تحول دون تحقيق نيَّاتهم . فأيَّدهم الله على العمل وبلَّغهم غايةً من النجاح لم تكن في حسبانهم

ولدينا فوق ذلك داعٍ آخر للفرح في هذه النسبة وهو انَّ هذه المطبعة كانت كلّها موقوفةً على خدمة الدين والوطن في كلّ آن بحيث لا يجد مُنتقد في اعمالها العديدة السابقة ما يستوجب ملامًا على خللٍ صدر منهـا في حقّ الآداب أو المبادئ الكاثوليكيَّة القويمة

قيل ان غوتنبرغ في ليلة اختراعهِ فنّ الطباعة رأى في حلمٍ ما سينجم عن هذا الاكتشاف من الاضرار الشتَّى

كانتشار الاضاليل وسريان روح الثورة وغير ذلك مما كاد ان يفتّ في عضدهِ ويصدّهُ عن افشاء سرّهِ . ومطبعتنا والحمد لله لا يشوب فرحها في هذا اليوم ذكر عيبٍ اتتهُ في طول مدّتها من شأنهِ ان يزري بمقام اصحابها

فيحقُّ لها ان تفرح بما ادّتهُ من الخدم للدين القويم وتوطيد اركانهِ وتعزيز شأن اربابهِ كما تشهد لها مصنّفاتها الدينيّة العديدة

تفرح بما قدّمتهُ من شارات الولاء والطاعة للسلطة الشرعيّة التي طالما دافعت عن حوزتها وذبّت عن حقوقها

تأنس بأنّها كانت من أقوى العوامل في تأييد رئاسة الكرسيّ الرسوليّ في انحاء الشرق ومن اصدق المساعدين للرؤساء الروحيين من جميع الطوائف الشرقيّة على تتمّة مهامّهم

تسرُّها خدمتها الآداب مدّة خمسين عامًا وهي لم تكفّ عن نشر التآليف العديدة في كل الفنون الادبيّة

ترتاح لاعلائها منار العلوم والمعارف البشريّة التي من شأنها ان تفقّه العقول وتسمق بدارسيها الى مراقي الحضارة مُثبتةً على رؤوس الأشهاد الاخاء المتين بين العلم والدين

تلك هي الاعباء التي قامت بها هذه المطبعة فاثنى عليها كل قاصٍ ودانٍ وناهيك بما اثبتهُ البشير من اقوال امام

الاحبار ونيافة القاصد الرسوليّ على سوريَّة والسَّادة الاجلَّاء بطاركة الطوائف الكاثوليكيَّة باجمعهم وكلُّهم يثنون على هذا المشروع وعلى المرسلين القائمين بهِ اعظر الثناء . وقد تلطّف السيد العلَّامة المنسنيور يوسف العلم وترجم عن افكار اهل بلادنا بقولهِ في هذا اليوبيل :

أكرِمْ بمطبعةٍ قضتْ من عهدها ... خمسين عاماً بالمعارف زاهره
واليومَ ذا يوبيلُها متقبّلٌ ... منَّا التهاني من قلوبٍ شاكره
كيف السبيل الى قضاء حقوقها ... فُرِضَ الثنا وحقوقُها متشابره
وعلومُها وفنونُها وصفوفُها ... بصنوفها مثل البحار الزاخره
وبريدُها يبدُو بطلعة مشرقٍ ... وبشيرُها تهوى النفوسُ بشائره
هيا بنا ندعو طوابعها التي ... منها تلقَّينا العوارفَ ماطرَه
فلنطبعنْ منَّا الثناء عداد ما ... طبعت صحائفُها الحروفَ الوافره
قل انما طبعاتها بقلوبنا ... لا تُمّحى والنفسُ منَّا ذاكره
ان الديانة والعلوم واهلها ... تُهدي الثناء لفضلها مُتفاخره
خيرُ العوارفِ بالمعارف لا سوى ... هذي تدوم مع الدهور معاصره
قد يُفقَدُ المال العزيزُ وانما ... العلم الشريفُ لهُ الحيوة مضافره
ان المطابعَ للعلوم جداولٌ ... تجري الى كل الورى متشاطره
لكنَّما خيرُ المطابع ما غدَتْ ... للدين والآداب عيناً ساهره
للعلمِ بالوَحيِ الكريم علاقةٌ ... ترعى جوانبَها العيونُ الطاهره
ما كل من قال القصائد شاعرٌ ... والحكمُ في هذا لأُذنٍ شاعره
يا أيُّها الرحمانُ صُنْ جمعيَّةً ... عقدَت عرى الآمال بابن الناصره
باسمِ لهُ دُعيت تتيهُ تعزُّزاً ... لاسمِ لهُ تعلو الخلائقُ صاغره